الفصل السابع

تدريس القراءة باستخدام تقنية تحليل المضمون *

مخطط الفصل

١ ـ مقدمة

٢ ـ صفات تحليل مضمون النص وإجراءاته

٣ ـ النص المدروس وتحليل مضمونه

٤ ـ تدريس النص

٥ ـ خلاصة

* نشر مضمون هذا الفصل في مجلة: رسالة الخليج العربي، العدد ٧١، ١٩٩٩.

١ ـ مقدمة

يمكن القول: إن تقنية تحليل المضمون انطلقت خلال العقود الأربعة الأولى من القرن الحالي، وكانت موادها صحفية وهدفها القياس. بدأ ذلك في مدرسة كولومبيا للصحافة كما تركزت الدراسات خلال الحربين العالميتين على الدعاوة ولمع اسم لاسويل **Lasswel** في هذا الميدان.

ومن وجهة نظر منهجية يمكن القول : إن نهاية العقد الخامس اتسمت بظهور قواعد تحليل أرساها ب. برلسون **B.Bereison** ، وقد ساعده في ذلك ب.لازاسفيلد **P.Lazarsfeld**. إن التعريف الذي قدمه برلسون لتحليل المضمون يوجز بشيء من الوضوح اهتمامات تلك الحقبة : «**إن تحليل المضمون تقنية بحث للوصف الموضوعي والمنهجي والكمي لمحتوى الاتصالات الظاهر، بهدف تفسيرها**» (غراويتز ١٩٩٠م).

واتصف تطور تحليل المضمون في العقد السادس بانفتاح منهجي، فبرز الخلاف بين الاتجاهين الكمي والنوعي في التحليل. ففي الأول يتركز الاهتمام على **تكرار ظهور** بعض صفات المحتوى. وفي الثاني يكون التركيز على **ظهور** أو **غياب** صفة أو مجموعة صفات لمحتوى معين، في بعض أجزاء رسالة ما (موضوع التحليل).

ثم تطور هدف تقنية تحليل المضمون، فلم يعد ينظر إليها على أنها ذات هدف وصفي فحسب، بل على أن هدفها أو وظيفتها هي **الاستدلال**. وسواءٌ أقام هذا الاستدلال على قاعدة الأدلة التكرارية (الكمية) أم بمساعدة الآلة المجمعة (النوعية)، بدا واضحاً أن بالإمكان الصعود إلى الأسباب انطلاقاً من نتائج التحليل أو الهبوط إلى الواقعات انطلاقاً من صفات الاتصالات.

وفي العقد الثامن تركت ثلاث ظاهرات أساسية بصماتها واضحة في ميدان البحث المتعلق بتحليل المضمون هي: استعمال الحاسب، والاهتمام بالدراسات المتعلقة بالاتصال غير اللغوي، وتفتح السيمياء (علم الإشارات)؛ وأخذت الدقة المرغوب فيها للأبحاث اللسانية. إن تحليل المضمون يفيد من هذه الميادين كلها.

وفي الوقت الراهن تحاول الاتجاهات الحديثة في تحليل المضمون أن تفيد من التطور الذي وصلت إليه العلوم اللسانية وتكيف نفسها مع المعطيات الجديدة في هذه العلوم. إن تحليل المضمون ينظر إليه في الوقت الراهن على أنه : «**جملة من تقنيات تحليل الاتصالات ترمي، عبر أساليب منهجية وموضوعية لوصف محتوى الرسائل، إلى الحصول على أدلة (كمية أو نوعية) تتيح تفسير المعارف المتعلقة بشروط إنتاج وتلقي (متحولات مستنتجة) هذه الرسائل**» (باردان،١٩٨٩).

إن تحليل المضمون يمكن أن يتناول إذاً مجموعة كبيرة أو صغيرة من النصوص (الرسائل) الشفوية أو المكتوبة، ويمكن أن يتناول نصاً واحداً، ولكنه في الحالة الأخيرة محدود ومبسط، بحيث يبدو أقرب إلى **التحليل الوثائقي analyse documentaire** . وهذه الحالة الثانية هي التي تنطبق على عملنا الحالي، لأنه يقتصر فقط على التحليل إلى فِكَرٍ رئيسة (وفرعية) دون القيام بالاستدلال (هدف التحليل المنصب على مجموعات من النصوص). إن التحليل الوثائقي يعّرف بأنه: «**عملية أو جملة عمليات ترمي إلى تمثيل محتوى وثيقة ما في شكل مختلف عن شكلها الأصلي بهدف تسهيل دراستها أو تعّرف مكوناتها في مرحلة تالية**». وهذا هو بالضبط ما نريد القيام به في هذا المقام. إن هذا التعريف هو إذاً **تعريفنا الإجرائي** لتحليل المضمون في هذا العمل.

٢- صفات تحليل مضمون النص وإجراءاته

يقتضي تحليل مضمون نص ما القيام بعدد من الإجراءات المنهجية، كما ينبغي أن تتوافر فيه عدة صفات.

٢/١- صفات التحليل

ينبغي أن يتصف هذا التحليل: (فينيي،١٩٧٩)

١ - **بالموضوعية**، أي أن على المحلل ألا يدخل تقديره الخاص في جرد المعطيات التي ينطوي عليها النص.

٢ - **بالشمولية**، أي ألا يهمل المحلل أي جانب من النص.

٣ - **بالمنهجية**، أي أن يخضع التحليل لقواعد معلن عنها، لا أن يعتمد فقط على حدس المحلل وحده.

٤ - **بالقدرة** على أن يكون **كمياً**، أي أن يتيح التحليل التوصل إلى تقديرات قابلة للقياس.

٢/٢- إجراءات تحليل مضمون النص

إن أول عمل يقوم به المحلل هو قراءة النص، ولابد من الإشارة إلى أن هذه القراءة موجهة أصلاً، وهدفها مجسَّد ماديًا بعمليات وضع خطوط عمودية في الهامش، وظيفتها تكوين مجموعة من العناصر التي تعتبر هامة، إن المقصود هنا، وفي إطار قراءة ثانية أن نعزل أو نحدد، من بين كامل النص، النواة الأساس له، ونحدد عبر عملية تفحص دقيق النويات الدلالية الرئيسة للنص.

إن خطوة القراءة هذه تقوم إجمالا على: (فينيي،١٩٧٩)

١ - **تعّرف** المقاطع التي تثير الاهتمام، أي ما يمكن أن نسميه قراءة ناقدة (قراءة أولى).

٢ ـ **تعيين** هذه المقاطع، أي تمييزها وجرد العناصر التي تشتمل عليها ومناقشتها، وهو ما يمكن أن نسميه قراءة **موجهة** (قراءة ثانية).

٣ ـ **تفسير** هذه العناصر المميزة، أي تقويمها والتعليق عليها ومناقشتها عند الاقتضاء، وهو ما يمكن أن ندعوه قراءة **تفسيرية** (قراءة ثالثة).

وهذا الذي قدمناه يمكن أن يتم إجرائياً عبر المراحل التالية : (فينيي ١٩٧٩).

١/٢/٢ـ البحث عن الكلمات المفتاحية

إن الإجراء الأول هو تحديد الكلمات المفتاحيه. ونقصد بالكلمات المفتاحية الكلمات التي يفترض أن تعطي للنص التمثيل الدلالي الأكثر أمانة، إنها الكلمات المشبعة بالمعنى، التي تشكل النويات الدلالية التي سينتظم حولها النص، وتشير إلى المفاهيم المفتاحية، باعتبار أن الكلمة هنا ليست سوى المظهر اللغوي لهذه المفاهيم.

وفي سبيل ذلك يمكن اتباع ما يلي :

- **تحليل عنوان النص**، فإن كان العنوان قد صيغ جيداً فمن الضروري أن يضم ما هو أساسي من الكلمات المفتاحية. وهكذا يكون علينا أن نبحث في النص عن الكلمات الموجودة في العنوان وعن مرادفاتها.
- **إسقاط الكلمات الفارغة** من النص، أي الكلمات المبهمة غير المحددة، وكذلك الكلمات الأداتية، أي أدوات الربط والضمائر. وفي مرحلة ثانية نقوم بتوحيد الكلمات الباقية بتخفيض المرادفات إلى قائمة كلمات نمطية، تشكل بدورها الكلمات المفتاحية للنص.
- ومن الممكن إجراء **كشف تكراري للكلمات**. فالكلمات المشبعة بالمعنى الأكثر تكراراً يمكن اعتبارها الكلمات المفتاحية للنص.

٢/٢/٢ـ البحث عن العلاقات المنطقية، ولاسيما علاقات السبب بالنتيجة وتحديدها. ويتم ذلك بالطبع عبر تحديد الكلمات والعبارات التي تدل على السببية، وهي في اللغة العربية من أمثال : إذاً، لأن، لذلك، لهذا السبب، ينجم عن ذلك... إلخ. وهذه المرحلة مرتبطة مباشرة بالمرحلة التالية، ومتكاملة معها.

٣/٢/٢ـ تحديد الشبكات المفهومية

إن تحديد الكلمات المفتاحية التي تنقل المفاهيم الرئيسة للنص يسمح بإعداد أول جرد للمعلومات فيه. ولكن هذا الشكل الأولي لا يعطي إلا تمثيلاً فقيراً جداً لمحتوى النص. ولذلك يكون مهماً أن ننتقل إلى المرحلة التالية وهي ربط هذه الكلمات بعضها ببعض

بوساطة عدد من العلاقات النحوية الدلالية، إنه الانتقال إلى مستوى أعلى لتمثيل محتوى النص عبر إقامة **الشبكة المفهومية** له.

إن المقصود، باختصار، إقامة علاقات منطقية بين الكلمات المفتاحية، ليس فقط على أساس العلاقات المنطقية كما تظهر في النحو، بل على أساس علاقات دلالية منطقية ذات مدى أوسع.

٣- النص المدروس وتحليل مضمونه

سنعمد إلى تطبيق الخطوات السابقة على نص من كتب التراث. وهو نص قديم نسبياً (النصف الثاني من القرن الرابع عشر الميلادي)، ولكنه نص جميل يعالج مسألة أن معرفة قوانين الإعراب وقواعد اللسان غير ملكة هذا اللسان. إن كاتب النص هو العلاّمة العربي عبد الرحمن بن خلدون (١٣٣٢-١٤٠٦)، وهو موجود في الجزء الرابع من المقدمة، وعنوانه هكذا : «فصل في أن ملكة هذا اللسان غير صناعة العربية ومستغنية عنها بالتعليم» (مقدمة ابن خلدون الجزء الرابع، ص ص ١٢٧٦-١٢٧٩). إننا سنلجأ في هذا النص إلى تحليل مضمون على أساس التصنيف إلى فِكَرٍ رئيسة (**analyse thématique**).

١/٣- البحث عن الكلمات المفتاحية

لقد تطلب ذلك قراءة النص عدة مرات على نحو ما بينا سابقاً، وقد توصلنا إلى تعرّف وتحديد هذه الكلمات المفتاحية التي تشكل النويات الدلالية الرئيسة في النص. فبدأنا بالعنوان فوجدنا فيه أربع كلمات هي : (**ملكة، اللسان، صناعة، تعليم**). ثم تفحصنا النص وتقصينا الكلمات المفتاحيه فيه فوجدناها جميعاً تكرر الكلمات الأربع الواردة في العنوان. إن هذه الكلمات الأربع تكررت في النص على الشكل التالي : ملكة ١٨ مرة ؛ اللسان ٨ مرات ؛ صناعة ١٠ مرات ؛ تعليم ٧ مرات (حسب في ذلك ورود الكلمة في العنوان، ولم يحسب تكرار مرادفاتها في النص) على نحو ما هو مبين في الجدول المرفق :

جدول رقم (١)

الكلمات المفتاحية الأساس أو النويات الأساس للنص حسب تكرارها في فقراته

التكرار / الكلمة المفتاحية	في العنوان	في الفقرة الأولى	في الثانية	في الثالثة	في الرابعة	في الخامسة	المجموع
ملكة	١	٥	٦	٢	٣	٢	١٩
اللسان	١	١	٢	-	٤	١	٩
صناعة	١	٤	٣	١	٢	-	١١
تعليم	١	-	٢	٣	٢	-	٨

٢/٣ تحديد الفكر الرئيسة

بعد تحديد الكلمات المفتاحية التي تشكل النويات الدلالية التي يتمحور حولها النص، أمعنا النظر بحثاً عن الفِكَر الرئيسة التي تشكل هيكله، وتوصلنا إلى استجلاء سبع هي:

١ ـ تحديد معنى صناعة العربية.

٢ ـ صناعة العربية ليست الملكة.

٣ ـ إمكان الجمع بين الصناعة والملكة.

٤ ـ تعليم اللسان.

٥ ـ صناعة العربية في الأندلس.

٦ ـ صناعة العربية لدى أهل المغرب وإفريقية.

٧ ـ حصول ملكة اللسان.

وقد تبين بالتمحيص أن الفكرتين الخامسة والسادسة ليستا سوى تطوير للنص وتوسيع له، بحيث إن حذفهما لا يغير من تماسك النص في شيء.

وقد عبر عن هذه الفكر الرئيسة في النص بعبارات مماثلة أو مختلفة، ووضح بعضها قليلاً، فنتج عن ذلك ظهور كلمات وعبارات جديده، زادت الفِكَرَ وضوحاً على نحو ما هو مبين في الجدول (رقم ٢). فالكلمات الموضوع تحتها خط هي كلمات جديدة تكمل الفِكر الرئيسة.

جدول رقم (٢)

تحليل محتوى نص «ملكة اللسان غير صناعة العربية ومستغنية عنها في التعليم»، على أساس الفكر الرئيسة

الفكرة الرئيسة	العبارات التي تعبر عنها في النص
معنى صناعة العربية (مقدمه)	ـ معرفة قوانين هذه الملكة ومقاييسها ـ العلم بقوانين الإعراب
صناعة العربية ليست الملكة	ـ العلم بقوانين الإعراب علم بكيفية العمل، وليس نفس العمل ـ الملكة غير صناعة العربية، وهي مستغنية عنها بالجملة
إمكانية الجمع بين الصناعة والملكة	ـ بعض المهرة في صناعة العربية بصير بحال الملكة
تعليم ملكة اللسان	ـ تحصيل قوانين الإعراب ـ وحفظ كلام العرب (أمثال، أشعار، عبارات)
صناعة العربية في الأندلس	ـ أقرب إلى تحصيل الملكة وتعليمها
صناعة العربية لدى أهل المغرب وإفريقية	ـ بحث (كالعلوم) ـ جملة من قوانين المنطق والجدل
حصول ملكة اللسان (نتيجة)	ـ بكثرة الحفظ من كلام العرب ـ والنسج على منوالهم

٣/٣ـ خطة النص

تختلف خطة النص عموماً باختلاف موضوعه وطبيعته اللذين يفرضان منهجه، ومعرفة المنهج تسهل التحليل والفهم والدرس، وهذا النص من النوع البرهاني الذي يريد فيه صاحبه أن يثبت أن: ملكة اللسان غير صناعة العربية وأنها مستغنية عنها بالتعليم، وفي سبيل ذلك يسلك المخطط التالي الذي يوضح الشبكة المفهومية والعلاقات المنطقية والدلالية فيه :

١ ـ يعرّف صناعة العربية، ويبيّن طبيعتها التي تجعلها مختلفة عن الملكة.

٢ ـ ومن أجل أن يقنعنا بفكرته يقارن صناعة العربية بغيرها من الصنائع أو المهن.

٣ ـ يشفع المقارنة بمثالين توضيحيين من أجل مزيد من الإقناع :

أـ مثال رجل بصير بالخياطة، ولكنه لا يحكم ملكتها.

ب ـ مثال رجل عالم بالنجارة، ولكنه لا يحكم ملكتها.

٤ ـ يخلص من ذلك كله إلى نتيجة مفادها : أن العلم بقوانين الإعراب هو علم بكيفية العمل لا نفس العمل. وهذه النتيجة المبرهن عليها الآن كان قد اعتمدها منطلقاً في التمييز بين الصناعة والملكة.

٥ ـ يطبق هذه النتيجة على النحاة والمهرة في صناعة العربية، ويعرض مثالين :

أ ـ مثال عن الخبير بصناعة اللغة، ولكنه لا يتقن الملكة فيكثر من اللحن والخطأ، ولا يجيد التأليف على أساليب اللسان العربي.

ب ـ مثال عن الذي يحسن الملكة وينسج على أساليب اللسان العربي، ولكنه لا يجيد الصناعة.

٦ ـ يعيد تقرير النتيجة، وهي أن : ملكة اللسان غير صناعة العربية وأنها مستغنية عنها بالجملة.

٧ ـ يشير إلى إمكانية الجمع بين الملكة والصناعة على قلة.

٨ ـ يبين مجال ذلك: إنه مخالطة كتاب سيبويه الذي يجمع بين الصناعة (قوانين الإعراب) ومقومات ملكة اللسان (أمثال العرب وأشعارهم عباراتهم)، وبذلك يضم جزءاً صالحاً من تعليم هذه الملكة، ثم يبين أن المخالطة على أنواع:

أ ـ المخالطة التي يتنبه أصحابها إلى ميزات كتاب سيبويه، فيتعلمون الملكة والصناعة.

ب ـ المخالطة التي يغفل أصحابها عن ذلك، فيحصلون على الصناعة ويغفلون عن الملكة.

ج ـ مخالطة كتب المتأخرين التي تهتم فقط بالقوانين النحوية، فلا يحصِّل أصحابها الملكة.

٩ـ يطور الكاتب الفكرة، فيتحدث عن:

أ - أهل صناعة العربية في الأندلس ومعلميها الأقرب إلى تحصيل الملكة من سواهم، لدراستهم شواهد العرب وأمثالهم والتفقه في تراكيب العربية.

ب - أهل صناعة العربية في المغرب وإفريقية الذين جعلوا من صناعة العربية بحثاً، فأصبحت لديهم جملة من قوانين المنطق العقلية والجدل، لأنهم عدلوا عن البحث في شواهد اللسان وتركيبه وتمييز أساليبه.

١٠ـ يخلص إلى نتيجة نهائية وهي أن حصول ملكة اللسان العربي تكون بكثرة الحفظ من كلام العرب، والنسج على منوالهم.

٤/٣ـ الشبكة المفهومية والعلاقات المنطقية والدلالية

لإعطاء صورة واضحة عن الشبكة المفهومية والعلاقات المنطقية والدلالية في النص أعدنا تحليل النص من خلال جدول يضم أربعة حقول: أولها للفِكَرِ الأساسية، وثانيها للفِكَرِ الفرعية التي قد تتدرج تحت كل فكرة رئيسة، وثالثها للأمثلة التوضيحية التي يلجأ إليها الكاتب من أجل إيضاح فكرة وتدعيمها برهانياً، ورابعها للكلمات والعبارات الدالة على العلاقات المنطقية، كما يبين ذلك الجدول رقم (٣) المرفق. وهذه الشبكة المفهومية هامة جداً فبوساطتها يغدو النص واضحاً مفصلاً ومبسطاً. وما من شك في أن ذلك سيسهل تدريس النص من جهة، وفهم الطلاب له واستيعابه من جهة ثانية.

جدول رقم (٣)

الشبكة المفهومية والعلاقات المنطقية والدلالية في النص

الفكرة الرئيسة	الفكر الفرعية	الأمثلة التوضيحية والتعليل	الكلمات والعبارات الدالة على العلاقات المنطقية
- معنى صناعة العربية	- تعريفها: معرفة قوانين الملكة ومقاييسها - توضيح طبيعتها: علم بكيفية لا نفس كيفية - مقارنتها بغيرها من الصنائع: بمثابة صناعة من الصنائع علماً وعدم أحكامها عملاً	- بصير بالخياطة ولكنه لا يحكم ملكتها - عالم بالنجارة ولكنه لا يحكم ملكتها	وهكذا (مقارنة) الفاء (تعليلية) لذلك (السببية) ⟶
- صناعة العربية ليست الملكة	- العلم بقوانين الإعراب علم بكيفية العمل وليس العمل.	- خبير بصناعة العربية لا يتقن الملكة ويكثر من اللحن والخطأ - من يحسن الملكة ولا يجيد الصناعة	فمن هذا تعلم (نتيجة) ⟶
- إمكانية الجمع بين الملكة والصناعة		- بعض المهرة في صناعة العربية بصير بحال الملكة. وهذا قليل	وقد نجد (تقليل) ⟶
- تعليم ملكة اللسان	- مجالها كتاب سيبويه: - يجمع بين قوانين الإعراب وأمثال العرب وشواهد أشعارهم وعباراتهم - فيه جزء صالح من تعليم هذه الملكة	- بعض من خالطوا كتاب سيبويه تنبهوا لشأن الملكة فتعلموها وحصلوا على الصناعة - بعضهم لم يتنبه لشأن الملكة فحصل الصناعة ولم يحصل الملكة. - من خالطوا كتب المتأخرين المقتصرة على القوانين النحوية فقط، حصلوا على الصناعة دون الملكة	وأما (الاستئناف والتفصيل) ⟶
- صناعة العربية في الأندلس	- أقرب إلى تحصيل الملكة وتعليمها	- لدراستهم شواهد العرب وأمثالهم والتفقه في تراكيب العربية	لدراستهم (السببية) ⟶
- صناعة العربية لدى أهل المغرب وإفريقيه	- صارت علماً بحتاً - جملة من قوانين المنطق العقلية والجدل	- لعدولهم عن البحث في شواهد اللسان وتراكيبه وتميز أساليبه - وغفلتهم عن المران في ذلك للمتعلم	وأما (الاستئناف والتفصيل) لعدولهم (السببية) ⟶
- نتيجة: حصول ملكة اللسان	- بكثرة الحفظ من كلام العرب - والنسيج على منوالهم		وتعلم مما قررناه (نتيجة) ⟶

٤ـ تدريس النص

تدريس هذا النص هو الهدف الأخير من هذا العمل المتعب الطويل، وإنما فعلنا ذلك لنقرر أمرين:

اولهما : أن تحليل المضمون أداة ضرورية في التدريس، فعلى أساس تحليل الدرس إلى نقاط تعليمية يتوقف عموماً تحديد الأغراض السلوكية المتعلقة بها، واختيار الأنشطة التعليمية (طرائق، وسائل تعليمية، أساليب) المناسبة لها، وبنود تقويمها.

وثانيها : أن تحليل المضمون ضروري من أجل فهم شامل للنص من جانب المدرس أولا، ثم من جانب الطلاب. وهذا هو الهدف الأساس من تدريسه. إن تحليلاً موضوعياً منهجياً شاملاً يؤمن تغطية جوانب النص جميعها، ويسمح بتكثيفها أو توسعتها تبعا للهدف والحاجة وشروط التدريس.

أما تناول هذا النص فيمكن أن يسترشد بالخطوات التالية :

١ـ تعرف القرائن والمؤشرات الخارجية ذات العلاقة الوثيقة بالنص : (الكاتب : شخصيته، مؤلفاته، آثاره، اهتماماته، المؤلَّف أو الكتاب الذي أُخذ منه النص، وموقع النص فيه... إلخ) فذلك سيقدّم خلفية عامة ضرورية لتناول النص وفهمه. ويتم ذلك إما بعرض مباشر من المدرس أو بطرح أسئلة على الطلبة بغية التوصل إلى الجواب الصحيح.

٢ـ قراءة **استكشافية أو ناقدة للنص**، أي قراءة أولى يقوم بها الطلبة، ويدعون فيها إلى تعرف المقاطع التي يمكن أن تعتبر جوهرية في النص. وفي هذه المرحلة يفضل أن تكون القراءة **صامتة**، لكي يتاح لكل طالب فرصة التفكير في مكونات النص.

٣ـ يمكن للمدرس بعد ذلك أن يطرح عدداً من الأسئلة القصيرة المركزة التي يفترض أن يكون قد أعدها مسبقاً. ووظيفة هذه الأسئلة ينبغي أن تكون مساعدة الطلبة على تعرف مواقع هذه المقاطع الجوهرية في كل فقرة من فقرات النص، وتحديد موضوعه، ونوعه، والهدف الذي يسعى إليه.

٤ـ قراءة **ثانية موجهة** تتناول النص فقرة فقرة،على أن يتم التوقف عند كل فقرة. ويفترض أن تكون هذه القراءة **جهرية**. إن هدفها استقراء النص، والتبصر فيه، بغية التوصل إلى تحديد الفكر الرئيسة فيه، وحصر العبارات اللغوية التي تجلت فيها هذه الفكر الرئيسة، وتحديد الكلمة أو الكلمات المفتاحية التي تنتظم حولها هذه العبارات. ثم يتعمق في التحليل لتناول العلاقات المنطقية والدلالية التي تحكم

الفقرة، وتفحص إمكانية وجود فكر ثانوية وأمثلة وشواهد وحجج تخدم الفكرة الر ـسة وتزيد في توضيحها. ويقوم المدرس بتدوين الفكرة الرئيسة والفكر الفرعية والكلمة أو الكلمات المفتاحية على السبورة، وفق نظام معين بعد الاتفاق مع الطلبة على كل ذلك. وهذا الاستقراء والتفحص للفقرة يتم بالطبع عبر حوار مباشر بين الأستاذ والطلبة، يفضل أن يأخذ المدرس فيه دور الموجه والمشرف والمنظم، في حين يكون الطلبة محور العملية. و بعد ذلك يتم الانتقال إلى الفقرة التالية مع طالب ثانٍ، وهكذا إلى نهاية النص.

٥ـ وبانتهاء تحليل النص يفترض أن يكون المدرس قد وضع على السبورة الشبكة المفهومية والدلالية والمنطقية للنص على شكل جدول متكامل متماسك وبذلك يسهل فهمه واستيعابه ورسوخه في أذهان الطلبة.

٦ـ وباعتماد الشبكة المفهومية بالشكل الذي انتهت إليه يستطيع المدرس أن يوضح للطلبة خطة الكاتب في تناول موضوعه، وعرض فِكَرِه، ومنهجه في التفكير. إن ذلك سيكون دون شك ذا فائدة كبيرة، فهو يعود الطلبة المنهجية في الدرس والتحليل والتفكير والكتابة، بعد أن تصبح بين أيديهم نماذج مختلفة من النصوص وطرائق التفكير والتعبير.

٧ ـ تتناول في الدرس بعض المسائل الأسلوبية (الألفاظ، والتراكيب والصور، والأخيلة إن وجدت)، وكذلك الانفعالية (العاطفة) بالدراسة والتعليق.

٨ ـ إن قراءة **ثالثة جهرية** للنص بعد كل ما سبق تترك وقعاً طيباً في النفس، بعد أن غدا كل شئ واضحاً مفهوماً سهل التناول، ومن المفترض أن تكون على مستوى من الدقة التعبيرية يعطي الدلالة كامل حقها عبر أداء صحيح منسجم مع متطلبات قراءة النص. وفي هذه المرحلة يمكن أن نقوّم بعض عناصر النص أو نعلّق عليها أو نناقشها عند الاقتضاء، فنحقق بذلك الهدف التفسيري الذي تنطوي عليه القراءة الثالثة.

٥ـ خلاصة

لقد قدمنا فيما سبق، وعلى مستويين : نظري وتطبيقي، تحليلاً لمضمون نص نثري وخطة لتدريسه، وأنا لنرجو أن تجد هذه المنهجية في التحليل والتدريس صدى لدى زملائنا المدرسين والباحثين، وأن تكون موضوعاً للإغناء والتطوير.

مراجع استخدمت في الفصل

أ ـ مراجع عربية :

ـ ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون، تحقيق علي عبد الواحد وافي، لجنة البيان العربي، القاهرة ١٩٥٧، الجزء الرابع، الطبعة الأولى.

ب ـ مراجع أجنبية :

-Bardain, L. (1989): **Analyse de contenu**, p.U.F. Le psychologue, 5ème édition.

-Grawitz, M. (1990): **Méthodes des Sciences sociales**, DALLOZ, Paris, 8 ème édition.

-Vigner, G. (1979): **Lire: du text au sens**, Cle International, Paris

ملحق بالفصل السابع : نص ابن خلدون عن ملكة اللسان

الفصل الواحد والخمسون

في أن ملكة هذا اللسان غير صناعة العربية ومستغنية عنها في التعليم. والسبب في ذلك أن صناعة العربية إنما هي معرفة قوانين هذه الملكة ومقاييسها خاصة. فهي علم بكيفية، لا نفسُ كيفيَّة. فليست نفس الملكة، وإنما هي بمثابة من يعرف صناعة من الصنائع علماً، ولا يُحكِمها عملاً، مثل أن يقول بصيرٌ بالخياطة، غيرُ محكمٍ لملكتها، في التعبير عن بعض أنواعها: الخياطة هي أن تدخل الخيط، في خرتِ الإبرة، ثم تَغرزها في لفقَي الثوب مجتمعين، وتُخرجها من الجانب الآخر بمقدار كذا، ثم تردها إلى حيثُ ابتدأت، وتخرجها قدّام منفذها الأول بمطرح ما بين الثقبين الأوَّلين ؛ ثم يتمادى على وصفه إلى آخر العمل، ويعطي صورة الحبك والتنبيت والتفتيح وسائر أنواع الخياطة وأعمالها. وهو إذا طولب أن يعمل ذلك بيده لا يحكم منه شيئاً.

وكذا لو سئل عالم بالنجارة عن تفصيل الخشب فيقول: هو أن تضع المنشار على رأس الخشبة وتمسك بطرفه، وآخر قُبالتك ممسك بطرفه الآخر وتتعاقبانه بينكما. وأطرافه المضرَّسة المحددة تقطّع ما مرّت عليه ذاهبة وجائيةً، إلى أن ينتهي إلى آخر الخشبة. وهو لو طولب بهذا العمل أو شيء منه لم يُحكمه. وهكذا العلم بقوانين الإعراب مع هذه الملكة في نفسها، فإن العلم بقوانين الإعراب إنما هو علمٌ بكيفيّة العمل وليس هو نفس العمل. وكذلك تجد كثيراً من جهابذة النُّحاة، والمهرة في صناعة العربية المحيطين علماً بتلك القوانين، إذا سُئل في كتابة سطرين إلى أخيه أو ذي مودَّته أو شكوى ظلامة أو قصد من قصوده، أخطأ فيها الصواب وأكثر من اللحن، ولم يُجِدْ تأليف الكلام لذلك، والعبارةَ عن المقصود فيه على أساليب اللسان العربي. وكذا نجد كثيراً ممن يحسن هذه الملكة ويجيد الفنَّيْنِ من المنظوم والمنثور، وهو لا يُحسنُ إعراب الفاعل من المفعول، ولا المرفوع من المجرور، ولا شيئاً من قوانين صناعة العربية.

فمن هنا تعلم أن تلك الملكة هي غيرُ صناعة العربيّة، وأنها مستغنية عنها بالجملة. وقد نجد بعض المهرة في صناعة الإعراب بصيراً بحال هذه الملكة، وهو قليل واتفاقيٌّ، وأكثر ما يقع للمخالطين لكتاب سيبويه. فإنه لم يقتصر على قوانين الإعراب فقط، بل ملأ كتابه من أمثال العرب وشواهد أشعارهم وعباراتهم ؛ فكان فيه جزءٌ صالحٌ من تعليم هذه الملكة، فتجد العاكف عليه والمحصّل له، قد حصل على حظ من كلام العرب واندرج في

محفوظة في أماكنه ومفاصل حاجاته. وتنبّه به لشأن الملكة، فاستوفى تعليمها، فكان أبلغ في الإفادة. ومن هؤلاء المخالطين لكتاب سيبويه من يغفلُ عن التفطُّن لهذا، فيحصل على علم اللسان صناعةً ولا يحصل عليه ملكة. وأمّا المخالطون لكتب المتأخرين العارية من ذلك، إلا من القوانين النحوية، مجرَّدة عن أشعار العرب وكلامهم ؛ فقلما يشعرون لذلك بأمر هذه الملكة أو يتنبَّهون لشأنها، فتجدهم يحسبون أنهم قد حصلوا على رُتبة في لسان العرب، وهم أبعد الناس عنه.

وأهل صناعة العربيّة بالأندلس ومعلِّموها أقرب إلى تحصيل هذه الملكة وتعليمها ممن سواهم، لقيامهم فيها على شواهد العرب وأمثالهم، والتفقُّهِ في الكثير من الملكة أثناء التعليم، فتنطبع النفس بها وتستعدُّ إلى تحصيلها وقبولها.

وأمّا من سواهم من أهل المغرب وإفريقيَّة وغيرهم ؛ فأجروا صناعة العربية مجرى العلوم بحثاً، وقطعوا النظر عن التفقُّه في تراكيب كلام العرب؛ إلا إن أعربوا شاهداً أو رجَّحوا مذهباً، من جهة الاقتضاء الذهني، لا من جهة محامل اللسان وتراكيبه. فأصبحت صناعة العربية كأنها من جملة قوانين المنطق العقليّة أو الجدل، وبعُدت عن مناحي اللسان وملكته. وما ذلك إلا لعدولهم عن البحث في شواهد اللسان وتراكيبه وتمييز أساليبه، وغفلتهم عن المران في ذلك للمتعلِّم، فهو أحسن ما تفيده الملكة في اللسان. وتلك القوانين إنما هي وسائل للتعليم ؛ لكنهم أجروها على غير ما قُصد بها، وأصاروها علماً بحتاً وبعدوا عن ثمرتها.

وتعلم ما قرَّرناه في هذا الباب، أنَّ حصول ملكة اللسان العربي إنما هو بكثرة الحفظ من كلام العرب، حتى يرتسم في خياله المنوالُ الذي نسجوا عليه تراكيبهم فينسج هو عليه. وينزَّل بذلك منزلة من نشأ معهم وخالط عباراتهم في كلامهم، حتى حصلت له الملكة المستقرَّة في العبارة عن المقاصد على نحو كلامهم. والله مقدِّرُ الأمور كلِّها، والله أعلمُ بالغيب.